

للعمر بقية

مشيتُ على الرمال حتى تعبتُ
ولم أَعُدْ أرى لشاطئ البحر بقية
نظرتُ خلفي أتأملُ الأفقَ البعيد
رأيتُ الشمس تُقبّلُ وجنات الضبابِ
تُلونها بسحر عيونها العسلية
تعلنُ رحيلَ النهار، قدومَ الليل
وصحوةَ أحلامٍ واعدةٍ، مُخادعةٍ، عبثيةٍ

نظرتُ أمامي فإذا بالنهار يسيرُ مُتثاقلاً
يجرُ خلفه نجوماً وأقماراً بهيةً
تعلقتُ في أهدابهِ الأضواءِ
ضللتُ طريقي في غابةِ نجومٍ خرافيةٍ
تعبتُ وغموتُ في حزنٍ نُجيمةٍ
ساحرةِ العينين، مُراهقةٍ شقيةٍ
عشتُ حُلماً كادَ يسرقَ الزمنَ مني
ويُعيدني طفلاً بريئاً كما وُلدتُ
جائعاً، خائفاً، غريباً، مُغترباً
بلا اسم، ثوب، شأن، أو هوية

صحوتُ على زقزقةِ عصافير تُغني
تُرددُ أهاريحَ أرمنةٍ مُتجددةٍ، يدائيةٍ
شمس تُطلُ على إستحياءٍ
تُوقظُ أشجارَ اللوز من غفوتها الشتوية
تُزين الخدودَ، تُعطرُ الورودَ والنهود

وتُجددُ الحياةَ لحياةٍ زائلةٍ، أبدية
وهناكَ، على وجنات الأفق البعيد
لاحتُ معالمُ الزمنِ السَرْمَدِي
خلفَ ستارةٍ شَفَافَةٍ، مُلوَنةٍ، رَماديةٍ
مسرحٌ كبيرٌ وكائناتٌ كثيرةٌ، عجيبةٌ
خشبةٌ عموديةٌ، أفقيةٌ، مُستطيلةٌ، دائريةٌ
تتوسَّطُها كأسٌ، ملأى حتى النصفِ، خَمْريةٌ

أدركتُ أن الحياةَ مَسْرَحيةٌ عَبْقريةٌ
وكائناتِ الكونِ مُمثلونَ هاوون
يلعبونَ أدواراً مُتوارثةً، عَشْوائيةٍ
حزينةً، سعيدةً، عابسةً، باسمه، عَوْغائيةٍ
بعضُها مُثيرٌ، وبعضُها مُملٌ، مُريبٌ
وكثيرُها بلا طعمٍ، لونٍ، أو قضيةٍ

الحياةُ والمماتُ فُصولٌ مُتتَابعةٌ، جَدَليةٌ
روايةٌ واقعيةٌ، خياليةٌ، جَدِيَّةٌ، هَزَليةٌ
مكتوبةٌ بكل اللغاتِ والكلماتِ والرسوماتِ
مشاعرٌ حبٍ، خوفٍ، ثورةٍ، كبتٍ، وحريةٍ
عمرٌ ينتهي ليعودَ في ثوبٍ جديدٍ
يُعيدُ الشيخَ فتنىً والعجوزَ صَيِّبةً

هكذا قالَ لنا الأجدادُ والقُدَماءُ
حُكَماءُ العهودِ الغابرةِ والأنبياءُ
والغموضُ يبقى هو الحقيقةُ السرمديةُ
لا أحدٌ يعرفُ متى تنتهي المسرحيةُ

من يُؤمنُ ومن لا يؤمنُ
يعيشُ ويموتُ مرّةً واحدةً
البعضُ يموتُ حياً بلا وعيٍ
والبعضُ يعيشُ ميتاً حياةً أبديةً
تهمسُ كلماتهُ صامتةً، غاضبةً
في وجهِ العالمِ والجاهلِ، الراعي والرعية

والكلُ يموتُ، مهما طالَ العمرُ
في نهايةِ المطافِ يسكنةً قلبيةً
ولا يزالُ العقلُ يُفكرُ مُحتراراً
يتساءلُ خائفاً، مُرتبكاً
مُستسلماً لسنةٍ كونِ أزليةٍ
مُؤمناً
أن للعمرِ بقيةً

د. محمد ربيع

www.yazour.com